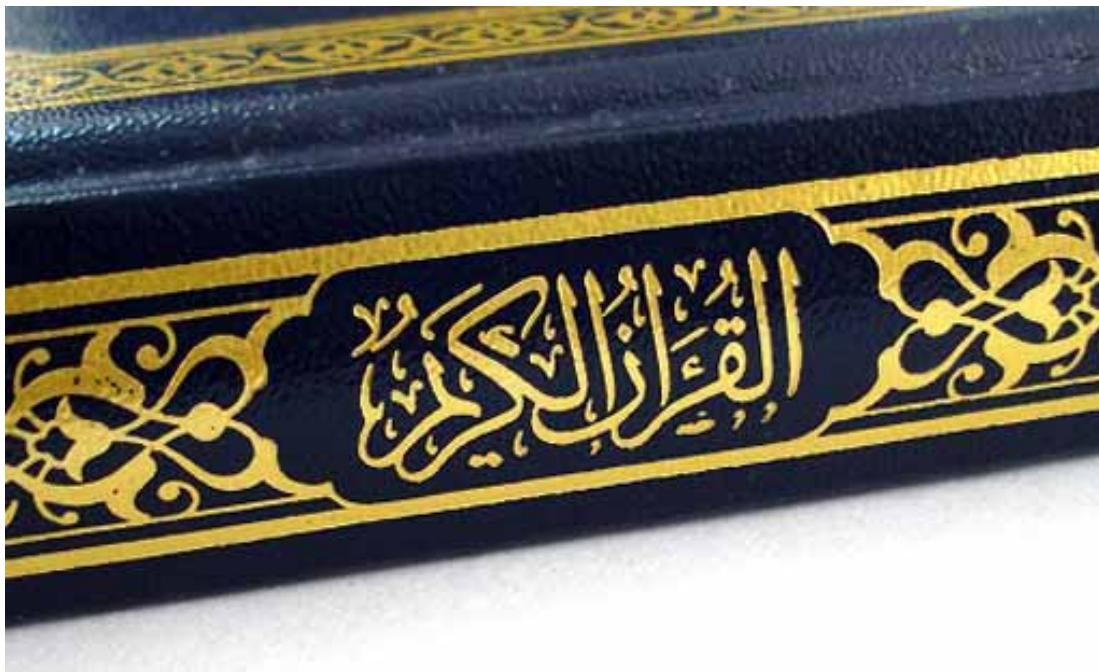


في الشكر وطريق تحصيله



أما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد واستعمال النعمة في طاعته.

أما المعرفة فبأن يعرف أن النعم كلّها من الله تعالى وأنّه هو المنعم والوسايط مسخرون من جهته، وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخرهم لك وألقى في قلوبهم من الاعتقادات والإرادات ما صاروا به مضطرين إلى الإيمال إليك، فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب.

وأما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو أيضاً في نفسه شكر على حدة كما أن المعرفة شكر، فإن كان فرحاً بالذّعم خاصة لا بالنعمة ولا بالأنعام ومن حيث إنّه تقدر بها على التوصّل إلى القرب منه والنزول في جواره، فهو الرتبة العليا في الشكر، وأمارته أن لا تفرح بالدنيا إلا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها، وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتتصدّك عن سبيله، وهذا أيضاً شكر بالقلب.

أما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، فهو القيام بما هو مقصد المنعم ومحبوبه ويتعلّق بالقلب واللسان والجواح أما بالقلب فقد الدلالة وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر واستعمال الدال عليه وأما بالجواح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقى بالاستعاة بها على معصيته حتى أن من شكر العينين أن تستر كل عيب تراه ب المسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه لمسلم، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء.

بل نقول: ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس أيضاً إذ الأ بصار إنما يتم بهما وإنما خلقتا ليصبر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتنقي بهما ما يضرّه فيهما، بل نقول: المراد من خلق الأرض والسماء وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله، ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا، ولا أنس إلا بدوام الذكر، ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدّوام على الذكر والفكر إلا ببقاء البدن، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء (والنّار)، ولا يتم ذلك إلا بخلق الأرض والسماء وخلق سائر الأعضاء، وكل ذلك لأجل البدن والبدن مطيبة النفس والراجح إلى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة.

فكلٌّ من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لقادمه على تلك المعصية قال الله تعالى: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ) (سيا/13)، وقال عز وجل: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَدْتُمْ) (النساء/147).

وعن الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص): "الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلي الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع".

وعنه (ع) قال: "من أعطي الشكر أعطى الزيادة" قال الله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَ زَكُومْ) (إبراهيم/7)، وعنده (ع) قال: "ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد".

وعن الباقر (ع) قال: "كان رسول الله (ص) عند إحدى زوجاته فقالت: يا رسول الله لم تتعجب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال (ص): ألا أكون عبداً شكوراً" قال: وكان رسول الله (ص) يقول على أصحاب رجليه فانزل الله سبحانه (طه * مَا أَرْزَكْنَاكُمْ إِنَّمَا أَنْتُمْ لَتَشْفَعُونِي) (طه/1-2).

وعن الصادق (ع): "شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين".

وسئل (ع): "هل للشكير حد إذا فعله العبد كان شاكراً؟" قال: نعم، قيل: ما هو؟ قال: يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في مال حق أداه ومنه قوله سبحانه: (سُبْحَانَ اللَّهِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْبِرِينَ) (الزخرف/13)، ومنه قوله: (رَبِّ أَرْزَكْنَاكُمْ لَنَا مُذْبَحًا وَأَرْتَ خَيْرَ الْمُذْبَحَاتِ لَنَا) (المؤمنون/29)، وقوله: (رَبِّ أَدْخِلْنَاكُمْ مُدْخَلَ صَدَقَ وَأَخْرُجْنَاكُمْ مُخْرَجَ صَدَقَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانَنَا نَصَبِرَا) (الإسراء/80).

وعنه (ع) قال: كان رسول الله (ص) "إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: الحمد لله على كل حال".

وعن الباقر (ع) قال: "إذا ذكر أحدكم نعمة الله فليوضع خده على التراب شاكراً، فإن كان راكباً فلينزل ولدينه على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه (حنو السرج)، فإن لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه".